رحلة إلى باطن العقل

بحث في الجدل المفتعل

بين العقل

و النقل

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾

[سورة ق:٣٧]

الفقير إلى الله

همام محمد الجرف

فهرس

مقدمة	٤
المبحث الأول – العقل في اللغة العربية	٦
المبحث الثاني – نظريات الفلاسفة في ماهية العقل	٨
مصطلحات فلسفية	٩
الفلاسفة الإغريق	١٢
الفلاسفة العرب	١٤
النظريات الفلسفية الحديثة في الغرب	١٦
المبحث الثالث – نظرة الإسلام للعقل	٢٢
وظائف العقل	٢٥
المبحث الرابع – لماذا يفتعل الجدل مابين العقل والنص	٢٨
كيف نسخِّر العقل لفهم دلالات النص بالدرجة الأولى	٢٩
هل العقل لا يؤمن بالأشياء حتى تراها العين أو تحس بها الحواس	٣٥
هل تستطيع هذه الأعين الضعيفة المحدودة أن ترى الله	٣٦
المبحث الخامس – العقل بين نضجه وحدوده	٣٨
النضج العقلي	٣٨
حدود العقل	٤٤

المبحث السادس – علم الإيمان و العقل ٤٦
علم الإيمان ٤٦
العقل بين التكليف و الإذعان ٤٩
إضاءات العقل في الإيمان بالله وفهم الشرع ٥١
من سلبيات إهمال العقل ٥٦
مصادر البحث ٦٢

مُقَدِّمَة

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وإن أفضل الهدي هدي محمد ﷺ

يُعْتَبَرُ العقل في نظر العامة من الناس بمثابة ملكة تميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى وذلك على مستوى السلوك و التفكير ، وتختلف هذه الملكة من شخص لآخر قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الإسراء : ٧٠]

وعلى هذا الأساس يتم التمييز بين الإنسان العاقل و الفاقد للعقل أو مختله أو ناقصه .

لقد نشأت على مدى العصور فلسفات كثيرة تناولت شأن العقل فمنها من قام بإعطائه السلطة المطلقة ، ومنها ما عطل العقل في فهم الحياة ، وجاء الإسلام الذي أعطى العقل أهمية واضحة ، فهو الأساس في فهم النقل ولا تعارض بينه وبين العقل ، فلولا العقل لما فهمت النصوص ، ولما استنبطت الأحكام ، ولكن تأثر الكثير من المفكرين المسلمين ببعض هذه الفلسفات التي تفاعلت مع الإرث الفلسفي اليوناني وذلك في عصور الرفاهية الفقهية والانفتاح العلمي والثقافي وترجمة العلوم والثقافات الشرقية والغربية ، فظهرت فرق

كلامية عديدة تقوم على أساس تغليب العقل في الأحكام الشرعية مخالفة نقل صريح ، أو رد حديث صحيح لعدم موافقته العقل .

و من خلال هذا البحث سنجري استقراءاً للفلسفات التي تأثر بها أهل العقل و المنطق في جعل العقل مصدراً من مصادر التشريع ، والبحث في ماهية الجدل الدائر بين العقل والنقل ، والبحث في مسألة من يتكلم في الدين من غير أهله بدعوى العقلانية .

الأمر الذي دعاني إلى إجراء هذا البحث خصوصاً ما يجري على ألسنة كثير من الناس العوام عند ورود مسألة شرعية و الحكم فيها ، يخضعون الأحكام إلى العقل وكأن العقل لدى كل شخص أصبح مرجعاً في الحلال والحرام ، أو عند ورود حديثٍ ما فقد يسرع أحدهم في الحكم على ضعفه ، بقوله ليس من المعقول أن يكون هذا من كلام رسول الله ﷺ ، أو تراه يفسر آية أو يؤلها في عقله .

فضلاً عن أهل الكلام والعقلانيين الذين نصبوا العقل في كل مسألة شرعية وحكَّموه فيها بلا علم ولا دراية .

همام محمد الجرف

يوم الجمعة الموافق ٤ شعبان ١٤٢٨هـ

٢٠٠٧/٠٨/١٧م

الساعة ١٠:٢٠صباحاً

ومن الله الهداية والتيسير ...

المبحث الأول – العقل في اللغة العربية :

لكي نفهم معنى العقل يجب أن نعرف معنى هذه الكلمة في اللغة العربية و ما المقصود بها ، حيث أن الموضوع الجدلي بين العقل والنقل من أثاره ينطق العربية ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة يوسف :٢]

فهذا ديننا الحنيف قد نزل على النبي العربي محمد عليه الصلاة والسلام واضحاً جلياً للأفهام والعقول ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللّهُ مَن يَشَاء وَيَهْدِي مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [سورة إبراهيم :٤]

و لذلك سنسرد بعض ما ورد من معاني للعقل في المعاجم العربية :

قال ابن منظور في **لسان العرب** (٦٣٠ هـ/ ٧١١ هـ) "العَقْلُ الحِجْر والنُّهى ضِدُّ الحُمْق والجمع عُقولٌ" وقال ابن الأنباري "رَجُل عاقِلٌ وهو الجامع لأَمره" ، "وقيل العاقِلُ الذي يَحْبِس نفسه ويَرُدُّها عن هَواها أُخِذَ من قولهم قد اعْتُقِل لِسانُه إِذا حُبِسَ ومُنِع الكلامَ".

والعَقْلُ التَّثَبُّت في الأُمور والعَقْلُ القَلْبُ والقَلْبُ العَقْلُ وسُمِّي العَقْلُ عَقْلاً لأَنه يَعْقِل صاحبَه عن التَّوَرُّط في المَهالِك أَي يَحْبِسه وقيل العَقْلُ هو التمييز الذي به يتميز الإِنسان من سائر الحيوان "

ويخبرنا الفيروز أبادي في **القاموس المحيط** (٧٢٩ – ٨١٦ هـ) عن عقل صاحبه لكلمة العقل فيقول أن العَقْلُ :

" العِلْمُ بِصفاتِ الأشْياءِ من حُسْنِها وقُبْحِها وكمَالِها ونُقْصانِها أو العِلْمُ بُخَيْرِ الخَيْرَيْنِ وشَرِّ الشَّرَّيْنِ أو مُطْلَقٌ لأُمورٍ أو لقُوَّةٍ بها يكونُ التمييزُ بين القُبْحِ والحُسْنِ ولَمعانٍ مُجْتَمِعةٍ في الذِّهْنِ يكونُ بمُقَدِّماتٍ يَسْتَتِبُّ بها الأغْراضُ والمصالِحُ ولهَيْئَةٍ مَحْمودةٍ للإنْسانِ في حَرَكاتِه وكَلامِه ".

جاء في **تاج العروس** (مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هجرية) :

العقل :"العلم وعليه اقتصرَ كثيرون ، وفي العُباب : العَقْل : الحِجْرُ و النُّهْيَة ومثلُه في الصِّحاح وفي المُحكَم العَقْل : ضِدُّ الحُمق أو هو العِلمُ بصفاتِ الأشياءِ من حُسنِها وقُبحِها وكمالِها ونُقصانِها أو هو العِلمُ بخيرِ الخَيرَيْن وشَرّ الشَّرَّيْن أو مُطلَقٌ لأمورٍ أو لقُوَّةٍ بها يكون التَّمييزُ بين القُبحِ والحُسنِ ولَمعانٍ مُجتمِعةٍ في الذِّهْنِ يكون بمُقَدِّماتٍ يستَتِبُّ بها الأغْراضُ والمَصالِح ولهَيئَةٍ مَحْمُودةٍ للإنسانِ في حَرَكَاتِه وكَلامِه " .

المبحث الثاني – نظريات الفلاسفة في ماهية العقل :

النظريات التي تبحث في العقل ، ما هو ؟ و ما وظائفه ؟ تعود تاريخياً إلى عهود أفلاطون و أرسطو و غيرهما من الفلاسفة الإغريق ، و العديد من المدارس الفلسفية الشرقية ، وبالتالي تأثر الفلاسفة العرب بالجذور التاريخية لمسألة العقل التي غدت واضحة في كتاباتهم حتى نشأت مدراس فلسفية تعرف بأسماء أعلامها.

بدايةً وجدت هذه النظريات جذورها في اللاهوت و الفكر الديني عموماً قبل تكون النظريات العلمية ، و ركزت على العلاقة بين العقل و الروح (أو الجوهر الإلهي المفترض للذات الإنسانية).

مصطلحات فلسفية :

يجب أن نتعرف على بعض المصطلحات التي ترد في كلام أهل العقل و المنطق والفلسفة .

الإدراك : المعرفة في أوسع معانيها ، ويشمل الإدراك الحسي ، وإدراك المجرد والكليات . قال الجرجاني :" الإدراك هو حصول الصورة عند النفس الناطقة " .

ويقسم الإدراك إلى :

١. الإدراك الباطني : وقوف الإنسان على إحساساته ومشاعره الداخلية .

٢. إدراك ذهني : معرفة الكلي من حيث إنه متميز عن الجزئيات التي يصدق عليها ويقابل الإدراك الحسي .

٣. إدراك واعي : درجة سامية من الإدراك والتصور ، ويريد بها ليبنتز وعي الذات فهو إدراك واضح يصاحبه الشعور والالتفات إليه ، ويفرق كانط بين الإدراك التجريبي وهو مجرد إدراك مصحوب بوعي وتفكير .

الوعي : إدراك المرء لذاته و أحواله و أفعاله إدراكاً مباشراً ، وهو أساس كل معرفة وله مراتب متفاوتة الوضوح . و به تدرك الذات أنها تشعر و أنها تعرف ما تعرف .

وذهب هاملتون أنه ليس بيسير تعريف الوعي ، لأننا إذا أدركنا بأنفسنا لا نستطيع أن ننقل وعينا إلى الآخرين .

العقل :

١. بوجه عام ما يميز به الحق من الباطل والصواب من الخطأ.

٢. يطلق على أسمى صور الذهنية بعامة ، وعلى البرهنة و الاستدلال بخاصة

٣. يراد به أيضاً المبادئ اليقينية التي يلتقي عندها العقلاء جميعاً ، وهي مبدأ الهوية ، ومبدأ عدم التناقض ، و مبدأ العلمية .

قسم العقل من القديم إلى نظري : ينصب على الإدراك والمعرفة ، وعملي : ينصب على الأخلاق و السلوك .

٥. و **العقل عند المدرسين** خاصة ، ما يعين على التجريد واستخلاص المعاني الكلية ، وهو وسيلة المعرفة فيدرك الجزئي كما يدرك المعاني العامة

٦. و **العقل السليم** : استعداد فطري لإصابة الحكم والتمييز بين الحق والباطل ، وبه قال ديكارت .

٧. و **العقل الفعال** :

١. ذهب أرسطو إلى أن هناك عقلاً بالفعل وعقلاً بالقوة فأحدهما فاعل و الآخر منفعل و لا يستغني واحد منهما عن الآخر .

٢. ذهب شرَّاحه المتأخرون إلى تسمية العقل بالفعل عقلاً فعالاً و أغدقوا عليه صفات تسمو به على عالم المادة وتبرئه من الفناء .

٣. ذهب فلاسفة الإسلام إلى عد العقل الفعال في نهاية سلسلة العقول الفلكية قال الفارابي (رسالة في العقل الفعال): " العقل الفعال

صورة مفارقة لم تكن في مادة ولا تكون أصلاً " في، وعده ابن سينا حلقة الوصل بين عالم الغيب وعالم الشهادة .

٨. و **العقل المنفعل**: يراد به عند فلاسفة الإسلام والمدرسين العقل في تقبله الصورة الذهنية ، وقد يسمى أيضاً العقل الهيولاني .

العلم :

١. بوجه عام : المعرفة و إدراك الشيء على ما هو عليه .

٢. بوجه خاص : دراسة ذات موضوع محدد و طريقة ثابتة توصل إلى طائفة من المبادئ والقوانين ، وينصب على القضايا الكلية والحقائق العامة المستمدة من الوقائع والجزئيات .

٣. والعلم ضربان علم نظري محاول تفسير الظواهر وبيان القوانين التي تحكمها كالطبيعة والرياضة ، وعملي يرمي إلى تطبيق القوانين النظرية على الوقائع والحالات الجزئية .

الفلاسفة الإغريق :

هذا وقد قسم **أفلاطون** (٣٤٧ ق.م - ٤٢٧ق.م) النفس البشرية إلى ثلاثة أقسام، توجد عند الناس بأشكالٍ متباينة ودرجاتٍ متفاوتة:

١-الحكمة، ومركزها الرأس وهي أعلى أقسام النفس مرتبة وأرقاها مترلة.

٢-الشهوة، ومركزها البطن وهي أدنى مراتب النفس وأحطها.

٣-الشجاعة، ومركزها القلب وهي تشغل الموقع الوسط بين الحكمة والشهوة.

ثم جاء الفيلسوف **سقراط** (٣٩٩ ق.م - ٤٧٠ق. م) ليطوّر نظرة تاليس إلى الإنسان ، معلناً أن الجوهر الأول ، أي النفس العاقلة أو الروح ، هو جزء من العقل الكلي أو الروح الإلهية .

و نشأ في العصر الذهبي عند اليونان نزاع بين الفلسفة والدين و عرفت مجموعة من الفلاسفة عرفوا **بالسوفسطائيين** وكانوا في مجموعهم يعدون من العوامل التي كان لها أعظم الأثر في تاريخ اليونان، فهم الذين اخترعوا لأوربا النحو والمنطق، وطبقوا التحليل على كل شيء ، وأبوا أن يعظموا التقاليد المتواترة التي لا تؤيدها شواهد الحس أو منطق العقل، وكان لهم شأن كبير في الحركة العقلية التي حطمت آخر الأمر دين اليونان القديم عند طبقات الذهنيين. وفي ذلك يقول **أفلاطون**: إن "الرأي السائد" في زمنه هو أن "العالم وكل ما فيه من حيوان ونبات... وجماد نشأ من علة تلقائية غير مدركة" ولا عاقلة .

واشترك بعض الفلاسفة أنفسهم في مهاجمة السوفسطائيين ، فاتهمهم سقراط بأنهم يموهون الخطأ بزخرف المنطق ويقنعونه بقوة البلاغة، وكان يحتقرهم لأنهم يتقاضون من الناس أجوراً.

وكان **سقراط** يقول لقد دمَّر السوفسطائيون إيمان هؤلاء الشباب بآلهتهم ، وحطموا القانون الخلقي الذي كان يعززه خوفهم من عقاب الآلهة لو قاموا بارتكاب ما يخالف رضاها ، و أصبح من الواضح أنه لا مانع من أن يسير الإنسان على هواه ويفعل مايطيب له.

الفلاسفة العرب:

فيقول **يعقوب بن إسحاق الكندي** (١٨٥-٢٥٦ هـ / ٨٠٥-٨٧٣ م) "العقل: جوهر بسيط مُدرِكٌ للأشياء بحقائقها".

و يقول **أبو النصر الفارابي** (ولد عام ٢٦٠ هـ/٨٧٤ م) " العقل: ليس هو شيئاً غير التجارب. ومهما كانت هذه التجارب أكثر، كانت النفس أتم عقلاً " .

كان **ابن رشد** يفرِّق بين نوعين من الحقيقة – الدينية والفلسفية :" إن قضية من القضايا يمكن رفضها في الفلسفة إذا نظر إليها من ناحية العقل، ولكنها مع ذلك يمكن **قبولها على أساس الإيمان** " .

يقول **ابن خلدون** (المولود١٣٣٢م) في المقدمة : " إن أصناف النفوس البشرية على ثلاثة أصناف : صنف عاجز بالطبع عن الوصول إلى الإدراك الروحاني، فينقطع بالحركة إلى الجهة السفلى نحو المدارك الحسية والخيالية .

صنف متوجة بتلك الحركة الفكرية نحو العقل الروحاني والإدراك الذي لا يفتقر إلى الآلات البدنية بما جعل فيه من الاستعداد لذلك، فيتسع نطاق إدراكه عن الأوليات التي هي نطاق الإدراك الأول البشري، ويسرح في فضاء المشاهدات الباطنية، وهي وجدان كلها لا نطاق لها من مبدئها ولا من منتهاها.

صنف مفطور على الانسلاخ من البشرية جملة جسمانيتها وروحانيتها إلى الملائكة من الأفق الأعلى ، ليصير في لمحة من اللمحات ملكاً بالفعل، ويحصل له

شهود الملأ الأعلى في أفقهم وسماع الكلام النفساني والخطاب الإلهي في تلك اللمحة " .

ويقول **ابن سينا** في عيون الحكمة : " فالشيء في الإنسان الذي تصدر عنه هذه الأفعال يسمى نفساً ناطقةً وله قوتان : إحداهما معدة نحو العمل و وجهها إلى البدن و بها يميز بين ما ينبغي أن يفعل وبين ما لا ينبغي أن يفعل وما يحسن ويقبح من الأمور الجزئية – و يقال له العقل العملي ويستكمل في الناس بالتجارب والعادات ، والثانية قوة معدة نحو النظر والعقل الخاص بالنفس ووجهها إلى فوق و بها ينال الفيض الإلهي" .

النظريات الفلسفية الحديثة في الغرب :

فتعتبر العقل ظاهرة تتعلق بعلم النفس ، و غالبا ما يستخدم هذا المصطلح بترادف مع مصطلح الوعي . السؤال عن أي جزء أو أي صفة من الإنسان يساهم في تكوين العقل لا يزال محل خلاف . هناك البعض يرى أن الوظائف العليا فقط (التفكير و الذاكرة بشكل خاص) وحدها هي التي تكون العقل ، بينما الوظائف الأخرى مثل الحب و الكره و الفرح تكون غريزية و بالتالي لا تكون العقل .

بينما يرفض آخرون هذا الطرح ، و يرون أن الجوانب العقلانية و العاطفية من الشخصية الإنسانية لا يمكن فصلها بسهولة و إنها يجب أن تؤخذ كوحدة واحدة في الاستعمال الشعبي الشائع ، العقل ، يخلط عادة مع التفكير و عادة ما يكون " عقلك" حوارا داخليا مع نفسك .

ومع هذا تقدم الأسقف **جورج بركلي** G. Berkeley (١٦٨٥ - ١٧٥٣م) فأنكر الوجود الحقيقي للمادة كجوهر مستقل . وهذا عن طريق نظرية حسية متطرفة في المعرفة ترهن الوجود بالإدراك الحسي له ، وكل ما لا يُدرك لا وجود له . وكل شيء يدرك فقط داخل الذهن الإنساني كمحسوسات جزئية إذن جميع معارفنا جزئية ولا وجود للكليات إنها مجرد (أسماء) تنطبق على جزئيات عدة .

قلَّة من فلاسفة اليوم يمتلكون هذه النظرية المتطرفة ، و لكن فكرة أن العقل الإنساني هو جوهر ، و هو أكثر علواً و رقياً من مجرد وظائف دماغية ، لا تزال مقبولة بشكل واسع .

هوجمت آراء بيركلي من قبل **توماس هنري هكسلي** (عالم أحياء و تلميذ لداروين) عاش في القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث وافق هكسلي أن ظاهرة العقل مميزة في طبيعتها ، و لكنه أصر أنها لا يمكن أن تفهم إلا على ضوء علاقتها بالدماغ ، و دعمت آراء هكسلي بالتقدم المستمر للمعارف الإحيائية عن وظائف الدماغ.

وبالنسبة **لفرنسيس بيكون** F. Bacon (١٥٦١ م – ١٦٢٦م) الذي رفع الوصاية عن الإنسان عن طريق الثقة في الحواس وفي الطبيعة فكان أباً للتجريبية الحادة التي اقترن بها العلم الحديث في مراحله الأولى.

من خلال المبدأ العلمي (قانون المعرفة العلمية) إلى أوروبا التجربة أو الظاهرة + المشاهدة + الاستنتاج العقلي = الحقيقة العلمية ، فنحن نشاهد التجربة ، ونراقبها ، ونعرف مقدماتها ، ونتابع سيرها ونلاحظ نتائجها ، ثم بالعقل نستنتج الحقيقة العلمية التي ربطت بين ما شاهدناه أولاً في مقدمات التجربة وبين ما شاهدناه ثانياً في نتائجها .

إن الدراسات الحديثة التي تبحث في مفهوم العقل ، تربط بين دراسة الشبكات العصبية ، و علم النفس ، علم الأحياء الخلوي و الجزيئي ، علم الاجتماع ، تاريخ العلم ، و الألسنية.

يعتبر **ديكارت** R. Descartes (١٥٩٦م-١٦٥٠م) العقل ليس فقط ملكة التفكير والحكم والاستدلال أو آلة منتجة للمعرفة ومحققة للمردودية بل هو فوق كونه كل ذلك جوهر روحي قائم بذاته مستقل عن غيره ، فطري أولي بل هو أساس الوجود ككل" أنا أفكر إذن أنا موجود"،

و أكد أن العقل أعدل الأشياء قسمة بين الناس يدرك البديهيات بالحدس أي بالإدراك الفوري المباشر فهو مصدر المعرفة ووسيلتها وخزانها ويصل إلى الحقائق اليقينية .

أما وظيفته فليست فقط –كما ادعى اليونان- هي تأمل الكون والانبهار به بل هي معرفته والسيطرة عليه وامتلاكه وتسخيره لصالح الإنسان .

هاجم **جون لوك** (١٦٣٢-١٧٠٤) القياس الأرسطي بطبيعة الحال وأشبعه تهكماً وسخرية ورفض بقطع أي ادعاء بوجود أفكار مفطورة في العقل البشري ترتكز عليها ا لمذاهب العقلية المقابلة للتجربة ، وأكد أن العقل يولد صفحة بيضاء ثم تخطها المعطيات الحسية والتجربة .

أما وظيفة العقل فهي استعادة المعلومات الواردة عليه من الحواس والتفكير ثم المقارنة بينها والتأليف بين مختلف أجزاءها لإنشاء أفكار مركبة جديدة .

أما وسيلته في ذلك فهي " قوة صورية محضة" لأنها لا تضيف شيئا جديدا إلى مادة الأفكار التي أتت إلى العقل من الخارج عن طريق الحواس والتفكير.

وضع **إيمان ويل كانط** (١٧٢٤- ١٨٠٤م) نظرية للمعرفة هي علامة فارقة في تاريخ الفلسفة وفي الوقت نفسه أقوى تمثيل لروح الفيزياء النيوتُنية

والعلم الحديث ، وتقوم على عنصرين هما العقل والحس فالمقولات العقلية تتلقى المدركات الحسية لتشكلها في صورة معرفة بعالم الظواهر. و يذهب إلى أن العقل وحده لا يكفي والتجربة وحدها لا تكفي لحصول المعرفة الحقة بل لابد من المزاوجة بينهما وعبّر عن هذا بقوله الشهير : " **المقولات من دون المدركات الحسية خواء و المدركات الحسية من دون المقولات عمياء** " .

ومن هنا ارتأى كانط بأن المعرفة تتحقق على ثلاث مستويات أو وفق ثلاث خطوات أو مراحل... وهي : الحساسية ، الفهم ، ثم العقل .

يقول الفيلسوف الفرنسي **هنري برجسون** (١٨٥٩م-١٩٤١م) ليس المخ والعقل شيئاً واحداً ، صحيح أن الإدراك العقلي يعتمد على المخ وينحط معه ، ولكن كما تعتمد الملابس على علاَّقة تهوي معها إذا ما سقطت من مكانها ، وبديهي إن ذلك لا يدل على أن الملابس والعلاَّقة شيء واحد ، فالمخ مجموعة من التصورات وردود الأفعال أما **الإدراك** فهو تلك القوة التي تختار من بين تلك المجموعة ما تريد ، المخ الذي يسير فيه تيار الإدراك ، ولكن ليس الماء ومجراه شيئاً واحداً ، وإن يكن ذلك محدوداً بهذا ، ولا بد أن يخضع لتعريجه و التوائه .

لقد هاجم برجسون العقل و أراد الأخذ بحكم البصيرة ، وزعم أن العقل **لا يدرك إلاَّ حالات متقطعة من الحقيقة والحياة** ، و أنه عاجز على أن يدرك ما فيهما من تدفق وحركة واستمرار .

أما **سيغموند فرويد** (١٨٥٦ م – ١٩٣٩ م)و هو الذي طور نظرية العقل اللاواعي ، والذي ذهب إلى أن العمليات العقلية التي يؤديها الأفراد بوعيهم تشكل جزءا بسيطاً جداً من الفعالية العقلية التي تؤديها أدمغتهم.

كانت الفرويدية ، بمعنى ما إحياء للمذهب الجوهري للعقل ، و لو تغطى بغطاء علمي. لم ينكر فرويد بأي حال من الأحوال أن العقل كان وظيفة دماغية ، لكنه كان يرى أن العقل كعقل كان يملك عقلا خاصاً به (العقل اللاواعي) ، لسنا واعين به ، ولا يمكن التحكم به ، كما لا يمكن الدخول إليه إلا عن طريق التحليل النفسي خاصة عبر تحليل الأحلام (حسب فرويد).

و بذلك **نستنتج** :

من استقراء أقوال الفلاسفة في مختلف العصور و في مختلف البلدان وحتى لمختلف الأديان ليس هناك تصور واضح لماهية العقل وقدراته فالعقل مرتبط بالوعي والإدراك وهذا لا يأتي من فراغ وإنما يأتي بالتعلم والتجربة والمشاهدة باعتباره وظيفة دماغية ، وغير ذلك فقد يتأثر بما يحب ويكره الإنسان أي يتأثر بالهوى ، **فبنظر العقلانيين ما وافق العقل فهو عقلاني وما لم يوافقه فهو غير منطقي و غير عقلاني** ، فهل لهذا العقل عند من يدعي العقلانية مقياس ثابت يعتد به في قبول شيء أو رفضه يلزم الناس به وبأحكامه ؟ الجواب سيتم استخلاصه من بقية البحث بإذن الله تعالى ، وهو طبعاً .....لا

بالرغم من أن المحاكمة العقلية يجب أن تنشأ عن دراية وتفكر ، ولكن هناك كثير من المسائل غيبية وغير مدركه حسياً ولا عقلياً وعلى هذا إنْ نقضها

العقلانيون في هذه الحالة فإن نقض وجود العقل لديهم من أقرب ما سيتم نقضه لعدم إدراكه حسياً أو مادياً أو حتى الأرواح التي تسري في أجسادهم ، و بالتالي فإن هذه نظرية تالفة ، خاصة مع تفسير الكثير من الظواهر الكونية و الآيات الربانية التي كان الإنسان يجهلها ، أو حتى أنه لا يعقلها أصلاً ، أو أنه لا يؤمن بها ، وظهور النواحي الإعجازية في الآيات الكونية ، والتي قد تم تأويلها تأويلات غريبة من قبل بعض الفرق الكلامية ، وذلك لعدم التسليم بورودها في القرآن الكريم كما هي ، وعدم توفر الوسيلة العلمية لإيضاح المقصود منها .

المبحث الثالث – نظرة الإسلام للعقل:

إن الله عز وجل أعلى مكانة العقل لدى الإنسان و من أفضل مواهب الله لعباده العقل ، قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [سورة الإسراء :٧٠] .

يقول **أبو حاتم البستي** (المشهور بابن حبان) في الروضة :"العقل نوعان مطبوع ومسموع فالمطبوع منهما كالأرض والمسموع كالبذر والماء ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع فينبهه من رقدته ويطلقه من مكامنه يستخرج البذر والماء ما في قعور الأرض من كثرة الربع ، فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض والعقل المسموع من ظاهره كتدلي ثمرة الشجرة من فروعها .

ولا ينفع المسموع إذا لم يك مطبوع كما لا تنفع الشمس وضوء العين ممنوع "

و العقل جزء من الشرع ، فكما أنه لا عقل ــ كامل ــ بلا شرع، قال الله تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [سورة الملك:١٠] . و لا شرع ــ كامل ــ بلا عقل ، فالشرع هو كل ماورد في كتاب الله وصح من سنة رسوله ﷺ.

كما يقول **أبو الحسن الأشعري** (٢٧٠ هـ- ٣٢٤هـ): "البلوغ هو تكامل العقل ، والعقل عندهم هو العلم ، وإنما سمي عقلاً لأن الإنسان يمنع به

عمَّا لا يمنع المجنون نفسه عنه، وأن ذلك مأخوذ من عقال البعير، وإنما سمي عقاله عقالاً لأنه يُمنَع به ".

فانظر لولا العقل لما كان هناك تكليف لصاحبه ، وهذا العقل هو الذي يتم من خلاله دراسة النصوص و النقول وفهمها لاستنباط الأحكام الشرعية والاستدلال بكل دليل في مكانه ، فما غاب عن العقل من نص في قرآن أو صحيح سنة فيسلَّم به المؤمن ، قال الله تعالى :﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا﴾ [سورة الجن:١٣]

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ [سورة الأحزاب :٣٦]

فالعقل يساعد على فهم الشرع ، لا كما يظن الناس أن الأحكام الشرعية قد تنعقد من عقولهم و أفهامهم ، وكما جاء في الحديث الشريف عن علي رضي الله عنه قال : " لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خفيه ".

تحيق الألباني : حديث صحيح، انظر الحديث رقم (٥٢٥) مشكاة المصابيح .

فهل الإيمان بالشرع والتسليم به هو كسر للعقل وتحجيم لقدرته كما يدعي العقلانيين ؟ لا ، وهذا ما سيتم استدراكه لاحقاً .

و لقد كان السلف يقولون إن العقل عقلان **غريزي** و **مكتسب**. فالغريزي هو ما نسميه بالمقدرات العقلية من فهم وإدراك وفقه واتساق في

الكلام وحسن تصرف ، و هذا العقل الغريزي هذا هو **مناط التكليف** ، فمن لا عقل له لا يكلَّف ، ومن فقد بعض مقدراته العقلية فإنما يكلف بحسب ما بقي له منها.

يقول أبو الفرج عبد الرحمن **ابن الجوزي** رحمه الله في كتابه "تلبيس إبليس" : " فإن أعظم النعم على الإنسان العقل لأنه الآلة في معرفة الإله سبحانه والسبب الذي يتوصل به إلى تصديق الرسل إلا أنه لما لم ينهض بكل المراد من العبد بعثت الرسل وأنزلت الكتب فمثال الشرع الشمس ومثال العقل العين فإذا فتحت وكانت سليمة رأت الشمس ولما ثبت عند العقل أقوال الأنبياء الصادقة بدلائل المعجزات الخارقة سلم إليهم واعتمد فيما يخفى عنه عليهم ".

وظائف العقل :

للعقل في القرآن معانٍ و وظائف بحسب نوع المعقول أي نوع الشيء المراد عقله وفهمه . و من هذه المعاني :

أولاً– فهم الكلام :

قال الله تعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف : ٢] فبين أن السبب في جعله عربياً هو أن يفهمه ويعقله أولئك المتحدثون بهذه اللغة.

قال الله تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [سورة مريم:٩٧]

ثانياً– فهم الحجج والبراهين:

قال اله تعالى : ﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [سورة البقرة:٢٥٩]

ثالثاً– موافقة العمل للقول:

قال الله تعالى : ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]

قال الله تعالى : ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [سورة الصف:٣]

رابعاً– المفاضلة بين ماهو نافع و ما هو ضار وتركه :

قال الله تعالى : ﴿يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ﴾ [سورة الحج:١٣]

قال الله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ [سورة الفرقان:٥٥]

خامساً– التضحية بالمصلحة القليلة العاجلة من أجل مصلحة كبيرة آجلة:

قال الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [سورة البقرة: ٨٦]

قال الله تعالى : ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام:٣٢]

سادساً– استخلاص العبر من الحوادث التاريخية :

قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٥] يشير سبحانه وتعالى هنا إلى قرى قوم لوط .

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾[سورة ق:٣٧]

سابعاً – فهم دلالات الآيات الكونية :

قال الله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [النحل:١٢]

قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة الروم: ٢٤]

ثامناً – حسن معاملة الناس :

قال الله تعالى : ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [سورة النحل:١٢٥]

المبحث الرابع – لماذا يفتعل الجدل مابين العقل والنص؟

في شريعتنا الغراء أمور جلية وأمور غيبية ومن لوازم الدين ومحكماته إيماننا بالغيب و كما جاء في الحديث الشريف : " الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره" ، تحقيق الألباني : حديث صحيح ، انظر حديث رقم (٢٧٩٧)في صحيح الجامع .

فالجدل المفتعل مابين النص والعقل لا يصل إليه إلا من نقص إيمانه أما المسلم المحصن فإن العقل والنص لا يتقاطعان بل يسيران بشكل متوازي لا ينفكان عن بعضهما.

لقد ظن الإنسان نتيجة التقدم العلمي المذهل أنه قادر على كل شيء حيث أصبح هنالك من يدعو للتمرد على شريعة الله وعلى منهج الأنبياء والرسل بحجة أن في الانقياد لمنهج الأنبياء والرسل حَجْراً وامتهاناً لهذا العقل البشرى الجبار الذي استطاع أن يصل إلى ما وصل إليه من هذا التقدم العلمي المذهل ، وبحجة أن البشرية والإنسانية قد بلغت مرحلة الرشد التي تؤهلها لأن تختار لنفسها من المناهج والقوانين والأوضاع ما تشاء وبحجة ثالثة ألا وهي أن مناهج الدين لم تعد تساير روح العصر المتحررة المتحضرة .

قال الله تعالى :﴿ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة يونس:٢٤]

كيف نسخِّر العقل لفهم دلالات النص بالدرجة الأولى؟

أولاً- بالتسليم الكامل للشريعة وعدم افتراض الاصطدام بين العقل والنص بعد ذلك يسخر العقل تلقائيا لفهم النص لأنه مهد الطريق له والتوفيق بيد الله عز وجل.

قال الله تعالى : ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة النحل: ٧٨]

فهل يقابل صاحب العقل والبصيرة الله على فضله ومنِّه بالجحود ؟ !!!

قال الله تعالى : ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [سورة الملك :٢٣]

ثانياً- العلم والاختصاص حيث يطوع العقل للبناء فالعقل والنص الشرعي متلازمان ما اجتمعت في شخص إلا أفرزت عالماً عاملاً يخدم الأمة .

قال الله تعالى : ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [سورة العنكبوت :٤٩]

فعلى كل أن يعلم حدود تخصصه فلا يتكلم أهل الطب بالهندسة ولا أهل الهندسة بالطب ، وبذلك الأولى ألا يتكلم بالشرع إلا من هو أهله من العلماء الربانين الذين يبينون للناس ما جاءت به الشريعة الغراء ، قال الله تعالى : ﴿لَوْلاَ يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [سورة المائدة :٦٣]

ثالثاً- الباحث عن الحق يجب أن يتجرد من نزعة الهوى أو الحكم المسبق على أن هناك تعارضا بين العقل و الشرع ، فهذا مخالف أصلا لطرق البحث العلمي الدقيق .

قال الله تعالى : ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [سورة ص:٢٦]

وكما جاء في الحديث الشريف : " ثلاث منجيات خشية الله تعالى في السر والعلانية والعدل في الرضا والغضب والقصد في الفقر والغنى وثلاث مهلكات هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه". تحقيق الألباني : حديث حسن ، انظر حديث رقم : (٣٠٣٩) في صحيح الجامع

رابعاً- أن نعلم يقينًا أن هذا الدين لابد أن يكون موافقًا للفطرة، إذ يستحيل أن يكون في دين الله ، أو شرعه أمر يخالف ويعارض ما فطره عليه، فالحكيم العالم بما خلق ومن خلق ، يضع الشريعة المناسبة له الملائمة لخلقه .

فكما جاء في الحديث الشريف : "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " رواه مسلم .

قال الله تعالى : ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الروم : ٣٠]

فالإسلام دين الفطرة والعقل الغريزي (الفطري) والذي يتمثل بالمقدرات العقلية من الفهم والإدراك وحسن التصرف ، و هذا هو مناط التكليف ، فمن لا عقل له لا يكلف ، ومن فقد بعض مقدراته العقلية فإنما يكلف بحسب ما بقي له منها.

وكل أمر شرعي يخطر في البال أنه معارض الفطرة ، فيجب أن نعلم أنه لا يخلو من أحد احتمالين :

- فإمَّا أنه أمر شرعي ، ولا يخالف الفطرة الصحيحة المستقيمة ، فمخالفته للفطرة **وهم** .

- وإما أنه يخالف الفطرة فعلاً ، ولكنه لا يكون أمرًا شرعيًّا ، وإن نَسَبَهُ الناس إلى الدين بغير علمٍ ولا هدى .

يقول العلاَّمة الشوكاني رحمه الله : " إن العبارات الصادرة عن أهل الكلام و التي جعلها من بَعْدهم أصولاً لا مستند لها إلا مجرد الدعوى على العقل والفرية على الفطرة وكل فرد من أفرادها قد تنازعت فيه عقولهم و تخالفت عنده إدراكاتهم ، فهذا يقول حكم العقل في هذا الكلام كذا ، وهذا يقول حكم العقل في هذا كذا ، ثم يأتي بَعْدهم من يجعل ذلك الذي يعقله من يقلده ويقتدي به أصلا يرجع إليه ومعيارا لكلام الله تعالى وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم، يقبل منهما ما وافقه ويرد ما خالفه ".

خامساً – أن نفهم أسلوب القرآن المتميز في مخاطبة العقل ، وإيقاظ الفطرة، وحشد الأدلة، وتحدي الكافرين ، فقد أقام الله الحجة على الناس بهذه

البينات فقال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد:٢٥].

حيث يخاطب الله عز وجل في مواضع كثيرة أولوا الألباب قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران :١٩٠]

أليست هذه دعوة صريحة و محكمة في إعمال العقل في معرفة الله عز وجل من خلال النظر في الآيات الكونية والتي بدأ العلم الحديث ووسائله المتقدمة بكشف بعض أسرارها اللامتناهية الآن .

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ سورة الزمر(٢١)

فما هذا السياق العلمي الفريد المتناهي في الدقة التي تصف آيات الله عز وجل في كل ما خلق والتي تدعو إلى التدبر في المعاني المحكمة لآيات الله ومعجزاته بترتيبها الدقيق ، أليست هذه دعوة لإعمال العقل في كل شيء

قال الله تعالى : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٤٢]

إن اللذين أعملوا العقل وآمنوا و قد علموا وعملوا فهل يستوون مع أولئك اللذين استكبروا عن الحق الذين عرفوه ولكن لم يعملوا به ؟

قال الله تعالى : ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ

وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ [سورة الزمر:٩]

والجواب القرآني المبين قال الله تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾ [سورة السجدة:١٨]

سادساً – المعرفة بأن الاستكبار و الإعجاب بالنفس من أخطر الأمراض التي تذهب بالعقل إلى غير الطريق السوي الذي يجب أن يسير به مما يصم الآذان عن سماع الحق و يمنع الأبصار عن جلاء الحقيقة .

قال الله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [سورة الحج:٤٦]

قال الله تعالى : ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾ [سورة النحل:٢٢]

سابعاً – يجب أن نعي مسألة الكلام بغير علم بأنها جدال ليس يهدي إلى الحق ، فلا يريد به صاحبه إلا باطلاً .

قال الله تعالى : ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ آيَةٍ لاَّ يُؤْمِنُواْ بِهَا حَتَّى إِذَا جَآؤُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِنْ هَذَآ إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ [سورة الأنعام:٢٥]

ثامناً – خشية الله طريق العلماء ، فمن عَلِمَ عظمة الله سبحانه وتعالى فلا بد أن يخشاه .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [سورة فاطر:٢٨] ، الخشية : أي الخوف من الله مع العلم بعظمته .

هل العقل لا يؤمن بالأشياء حتى تراها العين أو تحس بها الحواس ؟

كثير من النظريات العلمية التي تم برهنتها لا يمكن رؤيتها بالعين المجـــردة وإنما يمكن الاستدلال عليها بنتائجها أو آثارها .

فهل ترى العين جاذبية الأرض التي تجذب إليها كل الأجسام؟ لا ولكـــن يمكن رؤية الأشياء وهي تسقط على الأرض.

هل ترى العين الروح التي تسكن في الأجسام الحية فتوجد الفرق بين الحي والميت؟ لا ..وهل ترى العين أصلاً العقل الذي يفرق بين العاقل والمجذوب ؟ لا

وهل تستطيع العين أن ترى القوى التي يجذب بها المغناطيس قطعة الحديد؟ والجواب حتماً لا.

وعلى هذا هل الأشياء والأحداث التي تقع و لا نستطيع أن نراها بـــالعين المجردة فهل هي إذاً غير منطقية و غير عقلية !!!!!!.

إذا فماذا نقول بالنسبة للأمور الغيبية والتي م يستطع العلـــم حـــتى الآن تفسيرها ولا معرفة ماهيتها كالروح مثلاً فهل نرفضها بسبب عـــدم معرفتـــها ووصفها بالعقل الذي يوصف بالمحدودية.

وإذن فهل تستطيع العين المحدودة أن تدرك الأشياء البعيدة أو تتحمل النور القوي البعيد عنها؟ هيا لنرى؟.

إذاً فهذه العين عاجزة محدودة لا تستطيع أن ترى ما بعد عنها كما تعجز أن ترى كثيراً من الأشياء اللطيفة القريبة منها.

هل تستطيع هذه الأعين الضعيفة المحدودة أن ترى الله؟

لا ولكن يمكن مشاهدة صنائع الله عز وجل، قال الله تعالى : ﴿لاَّ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [سورة الأنعام : ١٠٣]

قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]

حيث كل شيء مصنوع في هذا الكون يدل على صانعه فما بالك بعظمة الخلق ألا يدل على عظمة خالقه .

قال الله تعالى : ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [سورة طـــه:١١٠]

و كما جاء في الحديث الشريف : " تفكروا في آلاء الله ولا تفكـــروا في الله " ، تحقيق الألباني : حديث حسن ، انظر الحديث رقم : ٢٩٧٥ في صحيح الجامع .

يقول الإمام **ابن قيم الجوزية** في مدارج السالكين "فالعـــارفون أربـــاب البصائر يستدلون بالله على أفعاله وصنعه إذا استدل الناس بصنعه وأفعاله عليـــه ولا ريب أنهما طريقان صحيحان كل منهما حق والقرآن مشتمل عليهما ، فأما الاستدلال بالصنعة فكثير وأما الاستدلال بالصانع فله شأن وهو الذي أشـــارت إليه الرسل بقولهم لأممهم قال الله تعالى : ﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللّهِ شَكٌّ فَـــاطِرِ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة إبراهيم :١٠]

أيشك في الله حتى يطلب إقامة الدليل على وجوده ؟ وأي دليل أصح وأظهر من هذا المدلول فكيف يستدل على الأظهر بالأخفى ثم نبهوا على الدليل بقولهم فاطر السموات والأرض وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه يقول كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء وكان كثيرا ما يتمثل بهذا البيت:

وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

ومعلوم أن وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمها " .

المبحث الخامس – العقل بين نضجه وحدوده:

النضج العقلي :

إن العلم لا يحصِّله طالبه إلا بعد أن يبذل من المشقة والزمن الطويل ، و تجارب الحياة كي تنضج تحتاج إلى زمنٍ كافٍ ، فالعلم الذي بين السطور لا يستفاد منه إلا مع التجارب العديدة التي معها قد يكون العقل قد وصل إلى مرحلة النضج .

قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [سورة الأحقاف:١٥]

وكما كان حكيم اليونان **سقراط** يقول:" إذا أردت أن تحصل على رجل ناضج فإن عليك أن تنتظر ٥٠ سنة".

بالرغم من أن هذا القول رمزي إلا أن المراد منه الإشارة إلى أن الحصول على النضج الذي نريده يحتاج إلى وقت ولكن من خلال تنمية العقل ومن خلال توسيع قاعدة الفهم .

و النضج العقلي هو كالنضج النفسي ليس محدوداً بحدود ، ومهما شعرنا أننا نفهم الأمور على نحو تام وعميق ، فإننا سنظل جاهلين في طرف منها فكل الحوادث والأشياء والمواد التي تشتمل على عنصر غيبي وهذا العنصر يحول دون الحصول على المعرفة الكاملة .

قال الله تعالى : ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مِّن نَّشَاء وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يوسف :٧٦]

إن العلم يحتاج إلى تخصص ، فالعلوم كثيرة فالتخصص يجعل صاحبه مابين إصابة الحق على نحو قطعي وحصري ، ومابين الظن العلمي القائم على المعطيات والحيثيات والأدلة المحترمة والمعترف بها لدى أهل التخصص ، على حين **أن ظنون غير المتخصص كثيراً ما تبنى على مشاعر خاصة وانطباعات و أهواء شخصية** و الفرق بين هذه وتلك كبير جداً .

وعلى ذلك يجب احترام أهل الاختصاص في علم من العلوم أو مهنة من المهن أو شأن من شؤون الحياة دليل على النضج العقلي ، و احترام العلم وذلك لأثر الخبرة في رشد العقل وصواب توجهاته .

و بالتالي فلا ينبغي للميكانيكي أن يتدخل في حكم الطبيب على داء من الأدواء وكيفية علاجه ، ولا للطبيب أن يتدخل في عمل الميكانيكي الذي يعمل على صيانة محرك ما ، ولو كان لأحدهما ثقافة الإطلاع على عمل الآخر ، فعلى كل أن يعمل بعمله فهل ثقافة أي إنسان بمعرفة بعض الأمراض وبعض أسماء الأدوية تؤهله بأن يقوم بعمل جراحي ؟ الجواب طبعا لا....

وهل معرفة أجزاء محرك أو آلة من الآلات تسمح لك بتفكيك هذه الآلة ومعرفة أعطالها وكيفية صيانتها والجواب طبعاً لا بل من الحماقة القيام بمثل هذه الأمور ، سيقول البعض قد تعرفت على أجزاء محرك السيارة والتي يفصل عملها

الكتالوج المرفق معها وتمكنت من فك القطع المعطوبة وتبديلـــها ، وتم الأمـــر بنجاح .

إن عملية الخطأ التي قد تحدث معك في هذه المسألة بسيطة بحيث أنك لو أخطأت في هذا العمل لما كلفك سوى لوم الميكانيكي لتدخلك الفضولي بعمله و بعض المال لإصلاح ما قمت بتخريبه .

ولكن إن إطلاع أحد ما على بعض الوصفات الشعبية لعـــلاج بعـــض الأمراض ووصفها للآخرين قد تودي بحياة الشخص ، فما ذا سيكلف ذلـــك برأيك .

هذه الأمثلة هي لأخذ العبرة فلكل اختصاص في الحياة أهله فهل نـــذهب إلى الطبيب الماهر والمهندس البارع والنجَّار المحترف ، وعند أمر الشرع وأحكام الله عز وجل نترك الأمر للعقل والمنطق .

فلو تركنا الحكم للعقل والمنطق فهل كنت تعرف عدد ركعـــات صـــلاة الظهر؟ أو أركان الحج ؟ أو أحكام الطهارة ؟ أو.؟.؟.؟.؟

أنظر هل الجواب الذي ستقوم بإعطائه موافق للعقل أصلاً !!!!!!

إن للشريعة أهلا يقومون بإرشادك إلى جادة الصواب لديهم العلم والدراية الكافية بشرح ما قد وصل لنا من هذا الدين الحنيف ، فقد درسوا الفقه واللغة والنحو والصرف والحديث والتفسير .

قال الله تعالى : ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ [سورة الإسراء : ٣٦]

قال الله تعالى : ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران :١٠٤]

فهل يخرج علينا من أهل الهندسة أو الشعر أو الأدب ويفسر لنا القـــرآن ويقول لنا العقل والمنطق ؟ ويرد صحيح سنة و يهمل ما شاء منها ؟!!!!!!!

هل لو قام إنسان ما برسم مخطط هندسي لبناء ما ، دون إجراء الحسابات الرياضية الخاصة بهذا المجال ، وقال يجب أن نضع هذه الركيزة هنا وهذه هنـــاك دون أي علم بما يقوم به – وذلك لعدم تخصصه طبعاً – و أن يضع ما شاء من مواد البناء ، أو أنه لم يضع ما هو مناسب منها، أ و أنه لم يحسب كمية حديد البناء المطلوبة ، أو الإسمنت ، أو لم يقم بعمل عدد من الدعائم ثم يبني ما شـــاء من الطوابق أو الأدوار بدعوى أن عقله أرشده لذلك فماذا يقال عنه حينئذٍ ؟

لو عرضنا هذا المخطط على طالب في كلية الهندسة ، لرد هذا العمل على الفور ، فضلاً عن رأي أستاذ متخصص في علم الهندسة ، وذلك لعدم خضوع هذا العمل لأصوله الهندسية .

فلماذا إذا التهاون فيما يخص الشرع فللعلم الشرعي أصول كما لغيره من علوم وهذه العلوم تذخر بها المكتبة الإسلامية من شتى فنونه .

فهل يرد شخصاً ما حديثاً من أحاديث الرسول ﷺ بدعوى أنه يخـــالف العقل والمنطق ، دون أن يعلم حتى ما هو تعريف الحديث الصحيح من الضعيف وليس له علم بالأسانيد ولا المتون ولا حتى اللغة العربية والتي هي لغته ، وهو إمَّا

مهندس أو صحفي أو مثقف ، أليس لكل علم أصوله وفروعه فما هذا المنـــهج العلمي الغريب الذي يتبعه من يدعي العقل ؟

أو تراه يفسر آية و لا يعلم من معانيها شيئاً و لا رجع إلى كتـــاب مـــن كتب التفسير ، ولا تعلم اللغة و أصولها ، أليس هذا عبثاً بل و تعطيلاً للعقل ؟

هل دراسة الأدب ، أو دراسة بحور الشعر ، أو المعادلات الرياضية توصل العقل إلى تفسير القرآن دون إطلاع أصلا على القرآن مقروءاً فضلاً على تفسير كلام الله الجليل ، فهنالك من يَرِدُّ كلام المفسرين الأعلام ويدعي أن تفاسيرهم لا توافق العقل و لا المنطق ، ويقول و ما أدراهم بالواقع ، ويرى نفسه أنه أعلم بالواقع !!! صحيح أن الواقع يتغير من زمان إلى زمان ومن مكان إلى مكان ، ولكن الحق هو الحق .

أي عقلٍ غير موضوعي و أي منطق مريض هذا ، أن يترك الإنسان العلم للتحكم به العقول المريضة .

و لو أن عالما من الشريعة تكلم بحكم في مسألة طبية ليس له فيها الدراية الكافية ، أو مسألة اقتصادية ، أو ..... ، لقامت الدنيا عليه بدعوى أنـــه لا يفقه فيها شيئاً وعليه ألا يتكلم إلا باختصاصه ، بينما لذلك الصحفي أو ذلـــك الأديب أو المثقف أن يرد سنن الرسول ﷺعليه الصلاة والسلام ويضعف مـــا شاء من الأحاديث دون دراية بهذا العلم الشريف .

و إذا تم انتقاده من قبل أهل الاختصاص لقيل هذا ضد حرية الرأي والفكر والاعتقاد والاجتهاد التي حفظها لنا الدين ، سبحان الله هذا التناقض العجيب الذي يبيح لك ويحرم على غيرك عجبا لهذا الكيل!!

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ۞ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۞ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ [سورة المطففين : ١،٢،٣]

حدود العقل :

لقد جعل الله الأداة الأولى لإدراك وجوده هي العقل، فالعقل هو الذي يدرك وجود الله تعالى بالفطرة و الدليل العقلي الذي وضعه الخالق في كل آية من آيات الكون، ولكن مهمة العقل بالنسبة لهذا الوجود محدودة ، ذلك أننا بالعقل ندرك أن هناك خالقاً مبدعاً قادراً ، ولكننا بالعقل لا نستطيع أن ندرك ماذا يريد الخالق منا ، وكيف نعبده، وكيف نشكره، وماذا أعد لنا من جزاء، يثيب به من أطاعه، ويعاقب به من عصاه؟؟ فهذا كله فوق قدرة العقل.

ولذلك كان لا بد أن يرسل الله الرسل ليبلغونا عن الله، لماذا خلق الله هذا الكون؟ ولماذا خلقنا؟ وما هو منهج الحياة الذي رسمه لنا لتتبعه؟ وماذا أعد لنا من ثوابٍ أو عقاب؟ فهذه فوق قدرات عقولنا ، وتلك مهمة لو استخدمنا فيها العقل لما وصلنا إلى شيء .

قال الله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [سورة الذاريات:٥٦]

قال الله تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [سورة البقرة: ٢٨٥]

١ – **حدود في المجال** : إذا عرفنا أن الحواس الخمس محدودة في قدرتها في مجالات عملها ، وعرفنا أيضاً أن قوة التصور محدودة بالحواس الخمس لأنـــه لا يعلم شيئاً إلا ما جاء بواسطة هذه الحواس و التي هي نوافذه المفتوحة إلى خارج

كيان الإنسان ، بحيث أنا لو تصورنا شخصاً قد سلب الحواس الخمس فلا يمكن له أن يكتسب معرفة واحدة بعقله مما يوجد حوله من حقائق وأشياء .

٢ – **حدود في القدرة** : وإذا كان ذلك بالنسبة لحدود مجال العقل؛ فإن هناك حداً للعقل في قدرته فمثلاً : العقل يعجز عن إدراك نفسه، وهو إلى الآن عاجز عن إدراك كيفية عمله: كيف يفهم؟ كيف يميز؟ كيف يعقل ؟

كما يعجز العقل عن إدراك الروح التي تدب في الإنسان أو الإحاطة بها قال الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [سورة الإسراء:٨٥] .

كما يعجز العقل عن إدراك بداية الزمان أو يحيط بنهايته ، وكذلك يكل ويعجز عن إدراك نهاية للمكان .

والعقل يعرف أن أحداثاً ستكون غداً ، ولكنه يعجز عن إدراكها ومعرفتها مع أنها كائنة لا محالة ، ومع أن بعض الرؤى المنامية تتفوق على العقل في هذا الباب . فتعرف ما سيكون غداً فيأتي كما رأت أو قريباً منه . كما يعجز العقل عن معرفة ما سيحدث لنا بعد موتنا بثوان وصدق الله العظيم القائل: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾[البقرة: ٢٥٥] .

سبحان الله العظيم فهل لهذا العقل المحدود أن يتكلم صاحبه بغير علم ويتخطى به حدود الله ؟ قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللّهِ فَلاَ تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة:٢٢٩]

المبحث السادس – علم الإيمان و العقل :

علم الإيمان : هو علم يبحث في إثبات العقائد الدينية بالأدلة اليقينية العقلية و النقلية التي تزيل كل شك ، وهو العلم الذي يكشف باطل الكافرين و شبهاتهم وأكاذيبهم ، و به تستقر النفوس ، وتطمئن القلوب . كما يبحث هذا العلم في الأقوال والأفعال التي يتحقق بها الإيمان ويزداد ، وتلك التي تنقصه أو تنقضه وتحديد ضوابط ذلك .

إن معرفة الله عز وجل بالعقل أمر قد حدث حتى مع الأنبياء فهذا النبي إبراهيم عليه السلام كان يتحنث ويتفكر في معرفة الله .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لا أُحِبُّ الآفِلِينَ﴾ [سورة الأنعام : ٧٦]

فلما رأى عدم التناسب بين خالق الكون الذي يدل كل شيء على وجوده وبين كوكب يغيب عن ناظره و حتى أن لم يعد قادر على رؤية أثره فتفكر ثم تفكر .

قال الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لأكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ [سورة الأنعام :٧٧]

فالأفول الواقع في الكوكب والشمس والقمر أكبر دليل وأوضح حجة على انتفاء الربوبية عنها .

إن العقل الفطري الذي تميز بالصفاء والسلامة من التلوث بالآثام والمعاصي هو القادر على تمييز الأشياء دون التأثر بالهوى .

قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ﴾ [سورة الأنعام: ٧٨]

فلم يكتفي أنه نبي اصطفاه الله وقد سلم بإقراره بتوحيد الربوبية و الألوهية نتيجة الفطرة السليمة ولكن أضاف إلى ذلك المعرفة المكتسبة بالنظر والاستدلال بالبراهين العقلية ، و هذا ما دعا الأنبياء والرسل إلى التبرؤ ممن كفر وأشرك بالله بعدما ظهر الحق وتبين لهم آلاء الله وعظمته في خلقه ، حيث إن مرتبة الأنبياء والرسل هي أعلى وأتم وأكمل المراتب لأنهم عليهم الصلاة والسلام أكمل المؤمنين في إيمانهم به سبحانه وتعالى وحبه وخشيته وطاعته والاستقامة على منهجه تحقيقاً للعبودية له و أداء لحقوق الربوبية و الألوهية .

قال الله تعالى: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [سورة النمل:٥٩]

فعندما كانت النية صادقة والفطرة سوية ، حيث لم يختلط العقل الفطري بما يلوثه فإن العقل المكتسب الذي يبحث عن البراهين بالعلم والمعرفة يصل إلى الحق .

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام:٧٥].

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة البقرة:٢٦٠]

إن الأنبياء قد مُيّزوا بالعلم اليقيني الذي تلقوه من الله سبحانه وتعالى ، فهم صلوات الله عليهم أكمل المؤمنين يقيناً واعتقاداً ، لأن المعجزات والآيات الدالة على نبوتهم ورسالتهم جرت على أيديهم وأمام أعينهم ، ولأنهم أعلم الناس بربهم وخالقهم الذي أرسلهم .

قال رسول الله ﷺ: "ما بال أقوام يترهون عن الشيء أصنعه فو الله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية" . متفق عليه

العقل بين التكليف و الإذعان :

يقول أبو الفرج **بن الجوزي** في صيد الخاطر " قلت يوماً في مجلسي : لو أن الجبال حَمَلَت ما حَمَلْتُ لعجزت . فلما عدت إلى مترلي ، قالت لي النفس : كيف قلت هذا ؟ و ربما وهم الناس أن بك بلاء و أنت في عافية في نفسك و أهلك !!. و هل الذي حملت إلا التكليف الذي يحمله الخلق كلهم ؟ فما وجه هذه الشكوى ؟ فأجبتها : إني لَّما عجزت عمَّا حملت ، قلت هذه الكلمة لا على سبيل الشكوى و لكن للاسترواح .

إن التكليف هو الذي عجزت عنه الجبال ، و من جملته : أنني إذا رأيت القدر يجري بما لا يفهمه العقل ، **ألزمت العقل الإذعان للمقدر** ، فكان من أصعب التكليف . و خصوصاً فيما لا يعلم العقل ، **مع الاعتقاد بأن المقدِّر لذلك و الأمر به أرحم الراحمين** .

تأملت حالاً عجيبة ، و هي أن الله سبحانه و تعالى قد بنى هذه الأجسام متقنة على قانون الحكمة **فدلَّ بذلك المصنوع على كمال قدرته ، و لطيف حكمته** ، ثم عاد فنقضها فتحيرت العقول بعد إذعانها له بالحكمة ، في سر ذلك الفعل .

و في نظائر لهذه يتحير العقل في تعليلها ، فيبقى مبهوتاً ، فلم أزل أتلمح جملة التكاليف ، فإذا عجزت قوى العقل عن الاطلاع على حكمه ذلك ، و قد ثبت لها حكمة الفاعل ، علمت قصورها عن درك جميع المطلوب ، فأذعنت مقرِّة بالعجز . و بذلك تؤدي مفروض تكليفها .

فلو قيل للعقل : قد ثبت عندك حكمة الخالق بما بنى أفيجوز أن ينقدح في حكمته أنه نقض ؟ لقال : **لأني عرفت بالبرهان أنه حكيم ، و أنا أعجز عـــن إدراك علله فأسلم على رغمي مقراً بعجزي**" .

إضاءات العقل في الإيمان بالله وفهم الشرع :

إن الكثير ممن يدعون أن العقل هو الحاكم المطلق و أن أي شيء لا يثبت به فهو مردود ، عندما يبحثون في القرآن ، أو في الحديث الشريف يجدون أنه الحق من ربهم . قال الله تعالى : ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سورة فصلت :٥٣]

إن الباحثين من قادة العلوم المعاصرة في الشرق والغرب قد عادوا إلى رحاب الإيمان بالله بعد أن تكشفت لهم آيات الله ، فكلما لفّقوا نظرية لنصر الإلحاد كشف الله لهم عن حقائق تعصف بتلك النظرية الزائفة فأرغمتهم الآيات الربانية أن يعودوا دعاة للإيمان به بعد أن كانوا دعاة للإلحاد.

ومن المؤسف أن كثيراً من الناس في بلاد المسلمين قد خدعوا بنظريات الإلحاد التي كان يروّجها هؤلاء الباحثون لصد الناس عن الدين وعن الإيمان بالله ولا زالوا بتلك النظريات مخدوعين ، بالرغم من أن قادة البحوث العلمية في الشرق والغرب قد أصبحوا من الذين يندون بالإلحاد وأباطيله ، وأن الكثير منهم قد أصبح من دعاة الإيمان بالله واستجاب العقلاء لنور الله .

قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ

عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاء وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة النـــــور:٣٥]

إن الله سبحانه وتعالى وضع في كونه آيات تنطق بوجوده ، وتنطق بعظمته ، وتنطق بأنه هو الخالق ، فالجماد والنبات والحيوان والإنسان كل يشهد أن ألا إله إلا الله ويسبحون بحمده جل في علاه .

قال الله تعالى : ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [سورة الإسراء:٤٤]

فالكل يشهد بأدلة ناطقة لا تحتاج حتى إلى مجرد البحث والتفكير والتعمق ولكن الله سبحانه وتعالى خاطب كل العقول في كل الأزمان ، فجعل هذه الأدلة التي تنطق بوجوده من أول الخلق ، ثم كلما تقدم الإنسان ، وارتقت الحضارة ، وكشف الله من علمه ما يشاء لمن يشاء ، ازدادت القضية رسوخاً وازدادت الآيات وضوحاً ، ذلك أن الله تعالى شاء عدله أن يخاطب كل العقول فجاءت آيات الله في الكون الناطقة بألوهيته وحده ليفهمها العقل البسيط، والعقل المرتقي في الكون ، ولا اعتقد أن أحداً يستطيع أن يجادل في هذه الأدلة ولا أن ينكر وجودها.

وكما جاء في الحديث الشريف " لا تجادلوا بالقرآن ولا تكذبوا كتاب الله بعضه ببعض فوا الله إن المؤمن ليجادل بالقرآن فيُغلَب وإن المنافق ليجادل بالقرآن فيغلب " حديث صحيح انظر الحديث رقم (٣٤٤٧) السلسة الصحيحة للشيخ الألباني .

ولقد أوجد الله سبحانه وتعالى في هذا الكون أدلة مادية، وأدلة عقلية، وأدلة نصل إليها بالحواس ، كلها تنطق بوحدانية الله ووجوده.

وهذه بعض أقوال هؤلاء الباحثين والدارسين في علوم الكون مختلفة الذين آمنوا عندما رأوا الحق .

حيث يقول الطبيب الفرنسي **موريس بوكايل** بعد إجراء مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم في كتابه المشهور :

"ولا عجب في هذا إذا عرفنا أن الإسلام قد اعتبر دائماً أن الدين والعلم توأمان متلازمان ، فمنذ البدء كانت العناية بالعلم جزءاً لا يتجزأ من الواجبات التي أمر بها الإسلام وأن تطبيق هذا الأمر هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الإسلامية تلك التي اقتات منها الغرب نفسه قبل عصر النهضة في أوروبا".

يقول الدكتور **وولتر سكاءلند برج** (عالم في الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية) :

"أما المشتغلون بالعلوم الذين يرجون الله فلديهم متعة كبرى يحصلون عليها كلما وصلوا إلى كشف جديد يدعم إيمانهم بالله ويزيد من إدراكهم وإبصارهم لأيادي الله في هذا الكون ".

ويقول **أندرو كونواي أيفي** وهو من العلماء الطبيعيين ذوي الشهرة العالمية في عام ١٩٢٥ إلى ١٩٤٦ م فيما كتبه تحت عنوان "وجود الله حقيقة مطلقة ":

"ويظهر أن الملحدين أو المفكرين بما لديهم من الشك لديهم بقعة عمياء أو بقعة مخدرة داخل **عقولهم** تمنعهم من تصور أن كل هذه العوامل سواء ما كان منها ميتاً أو حياً تصير لا معنى لها بعدم الاعتقاد بوجود الله ".

وكما يقول **هيرشل** العالم الفلكي الإنجليزي : "فكلَّما اتسع نطاق العلم ازدادت البراهين الدافعة القوية على وجود خالق أزلي لا حد لقدرته ولا نهاية، فالجيولوجيون والرياضيون والفلكيون والطبيعيون قد تعاونوا وتضامنوا على تشييد صرح العلم وهو صرح عظمة الله وحده ".

ويقول الدكتور **ووتز** (الكيماوي الفرنسي): "إذا أحسستُ في حين من الأحيان أن عقيدتي بالله قد تزعزعت وجهت وجهي إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها".

ويقول الدكتور **ماريت ستانلي كونجدن** (عالم طبيعي وفيلسوف وعضو الجمعية الأمريكية الطبيعية وأخصائي الفيزياء وعلم النفس وفلسفة العلوم):
"إن جميع ما في الكون يشهد على وجود الله سبحانه ويدل على قدرته وعظمته وعندما نقوم نحن العلماء بتحليل ظواهر الكون ودراستها **حتى باستخدام الطريقة الاستدلالية فإننا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادي الله وعظمته** ذلك هو الله الذي لا نستطيع الوصول إليه بالوسائل العلمية المادية وحدها ولكننا نرى آياته في أنفسنا وفي كل ذرة من ذرات هذا الوجود وليست العلوم إلا دراسة خلق الله وآثار قدرته ".

ويقول **إدوارد لوتر كبل** (أخصائي في علم الحيوان والحشرات بجامعة سان فرانسيسكو)

و بعد أن سرد عدداً من الأدلة على إيمانه : "ولا يتسع المقام لسرد أدلة أخرى لبيان الحكمة في التصميم والإبداع في هذا الكون ولكني وصلت إلى كثير من هذه الأدلة فيما قمت به من البحوث المحدودة حول أجنحة الحشرات وتطورها وكلما استرسلت في دراستي للطبيعة والكون ازداد اقتناعي وقويَ إيماني بهذه الأدلة، فالعمليات والظواهر التي تهتم العلوم بدراستها ليست إلا مظاهر وآيات بينات على وجود الخالق المبدع لهذا الكون".

والسؤال الذي يطرح نفسه كيف لمن لا يعلم أن يرد ما خالف فهمه بغير علم فهل هذا منهج عقلي ؟ الجواب وبكل صراحة ...لا .

و كما سبق على الباحث أن يتجرد من أي انحياز مسبق ، أو إتباع الهوى ، عندها سيرى الحق وبوضوح .

وكما جاء في الحديث الشريف :" ثلاث مهلكات هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه ". حديث حسن ، انظر حديث رقم: ١٨٠٢ السلسلة الصحيحة للشيخ الألباني .

من سلبيات إهمال العقل:

إضافة إلى ما سبق من بيان أهمية التفكر والتبصر نذكر فيما يلي بعض الحالات التي يجب أن يتنبه إليها المؤمن في حياته ويستخدم فيها العقل في الإطار الصحيح ، فلا يعطله عن فهم الدين ، ولا يقحمه في أمور ليست من وظائفه :

أولاً: إن ندرة التفكير و قلة التفكر عند كثيرٍ منَّا فيما ينفع العبد في آخرته كمحاسبة النفس استعداداً ليوم الحساب .

قال الله تعالى :﴿ قُلِ اللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سورة الجاثية:٢٦]

و كما جاء في الحديث الشريف "وتفكر ساعة خير من قيام ليلة " تحقيق الشيخ الألباني: حديث حسن ، جزء من حديث طويل انظر الحديث (٢٩٩) ظلال الجنة .

ثانيًا: تبلد التفكير والإحساس تجاه آيات الله عز وجل ، حيث قل المتفكرون منّا في هذه الآيات العظيمة التي تدل على عظمة خالقها سبحانه وتعالى ، وكما جاء في الحديث الشريف :

" قال يا رسول الله تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكوراً لقد نزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قرأها و لم يتفكر فيها .

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ ۞الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ

وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [سورة آل عمران :١٩٠- ١٩١] "

تحقيق الألباني : حديث حسن، جزء من حديث طويل ، انظر الحديث (١٤٦٨) صحيح الترغيب والترهيب .

ثالثًا: جنوح بعض الناس في تفكيرهم إلى ما وراء حدود العقل، واقتحامهم لأمور لم يعط العقل القدرة على إدراكها والتفكير فيها ، مما نشأ عنه الحيرة والشكوك ، والقول على الله تعالى بلا علم .

قال الله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ [سورة الحج: ٨]

رابعًا: ما طرأ على بعض الناس من خلل في التفكير والتصور ، مما كان له دور في بعض المواقف الخاطئة ، وقد تسبب هذا في بروز المواقف المتناقضة والمضطربة وعدم الثبات على حال واحدة ، والتي لبَّست على الناس وجعلتهم في حيرةٍ من أمرهم ، كتأويل الآيات القرآنية كل على هواه أو مبتغاه بدعوى الاجتهاد و إعمال العقل ، ولكن هذا إعمال للعقل في غير موضعه وخصوصاً **لغير أهل الاختصاص من أهل العلم** .

فكما جاء في الحديث الشريف : " تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ

مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [سورة آل عمران: ٧] ، فقال يا عائشة إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فَهُمْ الذين عناهم الله فاحذروهم " .

كثير ما يستدل أهل العقل بهذه الآية في جدالهم وتأويلاتهم الباطلة ولذلك سنفصل بعض الشيء ما جاء في تفسير هذه الآية الكريمة ، وشرح مفرداتها ، وبيانها .

جاء في شرح مفردات الآية في تفسير (أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير للشيخ أبو بكر الجزائري) :

﴿محكمات﴾: الظاهر الدلالة البيّنة المعنى التي لا تحتمل إلا معنى واحداً، وذلك كآيات الأحكام من حلال وحرام وحدود، وعبادات، وعبر وعظات.

﴿متشابهات﴾: غير ظاهرة الدلالة محتملة لمعان يصعب على غير الراسخين في العلم القول فيها وهي كفواتح السور، وكأمور الغيب.

﴿في قلوبهم زيغ ﴾: الزيغ: الميل عن الحق بسبب شبهة أو شهوة أو فتنة.

﴿ابتغاء الفتنة﴾: أي طلباً لفتنة المؤمنين في دينهم ومعتقداتهم.

﴿ابتغاء تأويله﴾: طالباً لتأوليه ليوافق معتقداتهم الفاسدة.

﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾: وما يعلم ما يؤول إليه أمر المتشابه إلا الله منزله.

﴿الراسخون في العلم﴾: هم أهل العلم اليقيني في نفوسهم الذين رسخت أقدامهم في معرفة الحق فلا يزلّون ولا يَشْتَطّون في شبهة أو باطل.

﴿كلٌّ من عند ربنا﴾: أي المحكم والمتشابه فنؤمن به جميعاً.

﴿أولو الألباب﴾: أصحاب العقول الراجحة و الفهوم السليمة.

جاء في تفسير هذه الآية في (تفسير أضواء البيان) :" ﴿وَ ٱلراسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ ، لا يخفى أن هذه الواو محتملة للاستئناف ، فيكون قوله: ﴿وَٱلراسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ ، مبتدأ ، وخبره ﴿يَقُولُونَ﴾، وعليه فالمتشابه لا يعلم تأويله إلا اللَّه وحده ، والوقف على هذا تام على لفظة الجلالة ، و محتملة لأن تكون عاطفة فيكون قوله : ﴿وَٱلراسِخُونَ ﴾ ، معطوفًا على لفظ الجلالة ، وعليه فالمتشابه يعلم تأويله : ﴿ٱلرَّاسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ أيضًا ".

أولاً– الواو محتملة للاستئناف :

قال ابن قدامة في روضة الناظر ما نصّه : " ولأن في الآية قرائن تدل على أن اللَّه سبحانه ، متفرد بعلم المتشابه ، وأن الوقف الصحيح عند قوله تعالىٰ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ ٱللَّهُ﴾ ، لفظًا ومعنى أما اللفظ فلأنه لو أراد عطف الراسخين لقال : ويقولون آمنا به بالواو ، أما المعنى فلأنه ذم مبتغى التأويل ، ولو كان ذلك للراسخين معلومًا لكان مبتغيه ممدوحًا لا مذمومًا ".

قال أبو نهيك الأسدي :"إنكم تصلون هذه الآية وإنها مقطوعة وما انتهى علم الراسخين إلا إلى قولهم : ﴿بِهِ كُلٌّ مّنْ عِندِ رَبّنَا وَمَا﴾ ".

ثانيا – الواو محتملة لأن تكون عاطفة :

واحتجّ القائلون بأن الواو عاطفة بأن اللَّه سبحانه وتعالىٰ مدحهم بالرسوخ في العلم فكيف يمدحهم بذلك وهم جهال .

قال القرطبي : قال شيخنا أبو العباس أحمد بن عمرو : هذا القول هو الصحيح فإن تسميتهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي

يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب ، وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع . انتهى منه بلفظه .

والتحقيق في هذا المقام قال بعض العلماء : أن الذين قالوا هي عاطفة جعلوا معنى التأويل التفسير وفهم المعنى كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : " اللهمّ علمه التأويل" ، أي : التفسير وفهم معاني القرءان ، والراسخون يفهمون ما خوطبوا به وإن لم يحيطوا علمًا بحقائق الأشياء على كنه ما هي عليه .

والذين قالوا هي استئنافية جعلوا معنى التأويل حقيقة ما يؤول إليه الأمر وذلك لا يعلمه إلا اللَّه ".

إن البعض ممن يدعي الرسوخ في العلم لم يكتفوا بإدعاء القدرة على التأويل المتشابه سواءً فهموا سياق الآية أو لم يفهموها أصلاً رجعوا إلى كلام المفسرين أم لم يرجعوا ، بل و أصبحوا يؤولون المحكمات فترى من يحلل الحرام ويحرم الحلال ، أو يرد نقلا صريحا صحيحا بدعوى رسوخه في العلم!!!!

ولكن هذا هو البيان الذي يظهر فيه الله عز وجل صفات الراسخين في العلم قال الله تعالى : ﴿لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١٦٢].

جاء في معنى الآية في (تفسير أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير) : إن الراسخين في العلم الثابتين فيه الذين علومهم الشرعية يقينية لا ظنية هؤلاء شأنهم فى النجاة من العذاب والفوز بالنعيم فى دار السلام شأن المؤمنين من هذه الأمة يؤمنون بما أنزل إليك أيها الرسول وما أنزل من قبلك وخاصة المقمين الصلاة

وكذا المؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر هؤلاء جميعا وعدهم الله تعالى بالأجر العظيم الذي لا يقدر قدره ولا يعرف كنهه فقال تعالى: ﴿ أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً ﴾.

فلينظر من يدعي رسوخه في العلم هل يتحلى بهذه الصفات ؟ وهل يملك العلم اليقيني الذي يحتاج إلى بحث ودراسة و تمحيص ؟ أم يملكون العلم الظني الذي يغلب عليه الهوى ؟

واللّه أعلى و أعلم ونسبة العلم إليه أسلم

همام محمد الجرف

غفر الله لي ولوالدي

homam_algerf@yahoo.com

مصادر البحث

١. كتاب توحيد الخالق – الشيخ عبد المجيد الزنداني .
٢. الآيات الكونية ودلالتها على وجود الله تعالى – الشيخ محمد متولي الشعراوي.
٣. نداء الفطرة – الشيخ د. سلمان العودة .
٤. فلسفة العلم في القرن العشرين– د.يمنى طريف الخولي .
٥. خواطر على طريق الدعوة جراح وأفراح – الشيخ محمد حسان .
٦. علم الإيمان – الشيخ عبد المجيد الزنداني .
٧. القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم – Dr. Maurice Bucaille .
٨. رسائل تثبيت الإيمان – الشيخ عبد المجيد الزنداني .
٩. النضج العقلي – أ.د. عبد الكريم بكار .
١٠.كتاب خلق الكون – الكاتب التركي هارون يحيى .
١١. مدارج السالكين – ابن قيم الجوزية .
١٢. التحف في مذاهب السلف – الشيخ محمد بن علي الشوكاني .
١٣. روضة العقلاء ونزهة الفضلاء – ابن حبان .
١٤. مقالة مفهوم العقل – د. جعفر شيخ إدريس .
١٥. قصة الحضارة – ول ديورانت .
١٦. قصة الفلسفة – ول ديورانت ترجمة د. فتح الله محمد المشعشع .

١٧. تلبيس إبليس – ابن الجوزي .
١٨. صيد الخاطر – ابن الجوزي .
١٩. أفلا تتفكرون – للشيخ : عبد العزيز بن ناصر الجليل .
٢٠. أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير – للشيخ أبو بكر الجزائري .
٢١. المعجم الفلسفي – مجمع اللغة العربية ، جمهورية مصر العربية .
٢٢. مقدمة ابن خلدون – عبد الرحمن بن محمد بن خلدون .
٢٣. تفسير أضواء البيان – الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجنكي الشنقيطي .